استبعاد الميتافزيقا للفيلسوف ألفرد آير

–مقال مترجم –

الطالب الباحث: محمد الدوسي

جامعة مولاي إسماعيل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس

المغرب

## استبعاد الميتافزيقا[1]

يبقى جدال الفلاسفة التقليديين، في معظمه، جدالا عقيما وبلا أساس. يفقد مثل هذا الجدال مشروعيته متى تساءلنا عن وظيفة الفلسفة ومناهج بحثها، حيث على هذا النحو يمكن الكشف عن تهافتها. لقد افترض الفلاسفة على الدوام، مثلما حمل تاريخ الفلسفة على الاعتقاد، أنه من الصعب الوصول إلى تحقيق هذه المهمة. أما إذا كانت هناك أسئلة قد تخلى عنها العلم لصالح الفلسفة لتجيب عنها، فإنه ينبغي أن تنكشف بفضل عملية استبعاد بسيطة[2].

ينبغي لنا أن نبدأ أولا بنقد الأطروحة الميتافزيقية، التي مفادها أن الفلسفة تمنحنا معرفة عن واقع متعال[3]على عالم العلم والحس المشترك. وبعدما نصل إلى تحديد الميتافزيقا والاعتراف بوجودها، فإننا سنرى أنه يمكن أن يكون المرء ميتافيزيقيا حتى وإن لم يعتقد في واقع متعال، حيث سيتبين لنا أن كثيرا من المنطوقات المتافيزيقية تعود إلى ارتكاب أخطاء منطقية، بدلا من كونها تعبر عن رغبة أصحابها في الذهاب إلى ما وراء حدود التجربة. يستحسن أن نتخذ حالة هؤلاء الذين يعتقدون أن تحصيل معرفة بشأن واقع متعال أمرا ممكنا نقطة انطلاق بحثنا. حيث سيتبين من خلال ذلك أن الحجج الموظفة في سبيل تفنيدهم تنطبق على الميتافيزيقا ككل.

يبقى التساؤل عن المقدمات التي منها يستنبط الميتافيزيقي قضاياه، طريقة في انتقاد مثل هذا المتافيزيقي الذي يزعم امتلاك معرفة تتعالى على عالم الظواهر. ألا يكون ملزما هو الآخر، مثلما يفعل غيره بالبدء من شهادة حواسه؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما نوع عملية التفكير التي يمكن أن تمكنه من تصور واقع متعال؟ لا يمكن طبعا لشيء متعال في علاقته بالتجربة أن يصدر عن مقدمات تجريبية؛ لأن الاستدلال على خصائص مثل هذا الشيء أو وجوده، انطلاقا من تلك المقدمات، يبقى استدلالا فاسدا. يمكن أن يعترض المتافيزيقي على حجتنا هذه بدعوى أن ما يجزم من إثباتات لا تقوم البتة على بداهة حواسه. قد يقول مثلا إنه يتمتع بقدرة حدس عقلية تمكنه من معرفة وقائع لا يمكن للتجربة الحسية أن تمنحه إياها[4]. لا يمكن الحكم بأن ما أصدره الميتافيزيقي من إثباتات بشأن عالم غير تجريبي تبقى إثباتات غير صادقة، حتى ولو حصل أن ظهر أنه استند إلى مقدمات تجريبية، وأن خوضه، في هذا العالم غير التجريبي، غير مبرر منطقيا بدليل أنه لم يلتزم بعالم التجربة. لا يمكن الكشف عن كذب استنتاج ما، فقط لأنه ليس استنتاجا ناتجا عن مقدمته المفترضة، لأن ذلك ليس بشرط كاف. من ثم، فإنه لا يمكن للمرء هدم نسق متافيزيقي متعال فقط بنقده للطريقة التي تشكل بها[5]. يقتضي الأمر بالأحرى القيام بتحليل نقدي لطبيعة العبارات التي يتكون منها. هذا النهج الحجاجي هو، في الحقيقة، النهج الذي سنسلكه. وبذلك فإننا سنؤكد بأن كل عبارة تحيل على" واقع" يتجاوز حدود كل تجربة حسية قد تكون بلا أي دلالة حرفية؛ وهو ما ينبغي أن نستنتج منه أن ما بذل من مجهود متافيزيقي من طرف المفكرين، في سبيل وصف مثل هذا الواقع، لا يعدو أن يكون فقط إنشاء لما ليس له معنى.

قد يوحى إلينا أن هذه القضية قد سبق وأن تم التدليل عليها من طرف إمانويل كانط. لكن حتى وإن كان هذا الأخير قد أدان المتافيزيقا المتعالية، فإن إدانته تلك قد قامت على أسس مغايرة. حيث قال إن بنية فهمنا الإنساني هي ما تجعل هذا الفهم نفسه يقع في متناقضات متى لم يقف عند حدود التجربة، وكذا عندما يسعى إلى التعامل مع ما يدخل في باب الأشياء في ذاتها على حد قوله. وبذلك فإنه يكون قد جعل استحالة المتافيزيقا المتعالية مسألة واقع لا منطق كما هو الحال بالنسبة لنا[6]. إنه لم يقر بأن عقولنا لا يمكنها أن تملك القدرة على الذهاب إلى ما وراء التجربة وبأنه لا يعقل أن تكون كذلك، بل ما هنالك هو أنها تفتقر إلى مثل القدرة. ذلك ما يؤدي بالناقد إلى أن يتساءل كيف يمكن لهذا الكاتب أن يكون محقا في قوله بأن هناك أشياء حقيقية في الما وراء، وكيف يمكنه أن يقول لنا ما هي الحدود التي لا يستطيع الفهم الإنساني تخطيها، بشرط أن ما يدخل ضمن حدود التجربة هو ما يمكن معرفته، ما لم ينجح هو نفسه في تجاوزها. إذا ما نحن أردنا رسم حدود التفكير، فإنه يتعين علينا، مثلما قال فتجنشتين، أن نفكر في طرفي الحد على حد سواء.[7] إنها الحقيقة التي منحها باردلي صورة خاصة قائلا إن الإنسان الذي هو على استعداد للتدليل على استحالة المتافيزيقا، لهو ميتافزيقي شقيق يتنافس بنظرية الخاصة .[8]

مهما بلغت قوة تلك الاعتراضات ضد المذهب الكانطي، فإنها لا تدحض مع ذلك الأطروحة التي أنا بصدد عرضها. لا يمكن هنا القول إن الكاتب هو من تخطى الحاجز ليقر بأنه لا يسمح بالمرور. سيعود الإخفاق في تجاوز حدود التجربة إلى القاعدة التي تحدد المعنى الحرفي للغة، لا إلى الأطروحة السكلوجية التي تتعلق بالبنية الفعلية للفهم الإنساني. لا ندين المتافيزيقي بدعوى أنه يسعى إلى استخدام الفهم في مجال حيث لا يمكن اقتحامه والخوض فيه على نحو مجد، ولا لأن منظوره يلزمنا نحن كذلك بقول ما ليس له معنى، حتى يتسنى لنا الكشف بأن مجموع الجمل التي تدخل في باب نمط ما يفتقر بالضرورة إلى المعنى الحرفي، بل تعود إدانتنا له إلى كونه يركب جملا لا تستجيب بنجاح لشروط محددة التي وحدها ما تجعل جملة ما ذات معنى حرفي. يكفينا أن نعمل على إعداد المعيار الذي سيمكننا من اختبار ما إذا كانت جملة ما تعبر عن قضية حقيقية تتعلق بهذه الواقعة أو تلك، المعيار الذي سيحدد لنا كذلك الجمل التي تخفق في تحقيق هذا الشرط الأخير. ذلك ما سنقوم به الآن. سنعبر في البداية عن هذا المعيار بلغة غامضة إلى حد ما، وبعدها سنقدم التوضيحات التي ترفع عنه اللبس ليصبح من ثم دقيقا.

يتخذ المعيار الذي نعتمده في اختبار صلاحية وأصالة ما نصادف من قضايا ذات مضمون خبري، بوصفها قضايا تتعلق بالواقع، اسم معيار قابلية التحقق[9]. نقول عن جملة ما إنها ذات مضمون خبري–واقعي بالنسبة لكل شخص كائنا ما كان إذا، وفقط إذا، عرف كيف يتحقق من القضية التي ترمي هذه الجملة إلى التعبير عنها، أي مدى تمكنه من الملاحظات التي ستقوده، استنادا إلى شروط محددة، إلى الأخذ بالقضية نظرا لأنها صادقة، أو إلى رفضها نظرا لأنها كاذبة. إذا كان طابع القضية المفترضة، من جهة أخرى، يوحي بأن صدقها أو كذبها، يتناسب مع أي افتراض، مهما كان، يخص تجربته المستقبلية، فإنها تبقى حينئذ، بالنسبة إلى هذا الشخص، هذا إن لم تكن تحصيلية، مجرد شبه قضية لا قضية حقيقية. قد يحصل أن تكون الجملة التي تعبر عنها ذات دلالة عاطفية، لكنها لن تكون ذات دلالة حرفية. ينطبق الإجراء نفسه عندما يتعلق الأمر بالأسئلة. حيث نسأل دوما ما هي الملاحظات التي ستقودنا، بهذه الطريقة أو تلك، إلى إيجاد أجوبة للسؤال المطروح، وإذا ثبت أنه لا يمكن العثور على أي جواب، فإنه ينبغي لنا أن نستنتج أن هذه الجملة لا تعبر، بالنسبة لنا، عن سؤال حقيقي، بالرغم من أن الصورة النحوية للسؤال قد توحي بقوة عكس ذلك تماما.

يستحق هذا الإجراء فحصا مفصلا، ما دام أن الأخذ به يبقى أهم عنصر في دعوى هذا الكتاب. ينبغي أن نشرع بداية في رسم الفرق بين قابلية التحقق العملي وقابلية التحقق من حيث المبدأ. كثيرة هي القضايا التي نعلم جيدا أننا لم نعمل في الحقيقة على التحقق منها بعد. لكن عدم تحققنا من هذه القضايا لا يعني أنها غير قابلة للتحقق؛ يمكننا التحقق منها إن نحن بذلنا ما يكفي من

الجهد في سبيل ذلك. لكن يبقى هناك عدد من القضايا هي ذات معنى، بحكم أنها ذات علاقة بالواقع الخارجي، ومع ذلك لا يمكننا التحقق منها حتى وإن حاولنا، مرد ذلك ببساطة أننا لا نملك وسائل إجرائية، تسمح لنا بأن نكون في وضعية يمكن معا إجراء ملاحظات فعلية. تبقى القضية القائلة بأن هناك جبالا في الواجهة الأبعد للقمر[10]، النموذج الأكثر شيوعا لهذا النوع من القضايا. لم يتم لحد الآن اختراع مركبة فضائية التي يمكن بواسطتها الذهاب إلى هذه الواجهة الأبعد للقمر ورؤيته، لذلك فإننا لسنا بقادرين عن تحديد الواقعة عبر ملاحظة فعلية. لكن رغم ذلك، نعرف الملاحظات التي تسمح بالتحقق من ذلك. إذا كانت قابلة للتصور من الناحية النظرية، فإني سأكون ذات مرة في موقف يسمح لي بإجراء مثل هذه الملاحظات. نقول في هذه الحالة إن القضية قابلة للتحقق مبدئيا، لا فعليا، ومن ثم فإنها تدخل في باب القضايا ذات المعنى. أما بالنسبة لأشباه القضايا المتافيزيقية مثل" المطلق فاعل ، لكنه عاجز في حد ذاته عن التطور والتقدم"،[11] فإنها ستبقى غير قابلة للتحقق ولو مبدئيا؛ حيث لا يمكن للفرد أن يتصور ملاحظة يمكن بواسطتها معرفة ما إذا كان المطلق يساهم في التطور والتقدم. من المحتمل طبعا أن صاحب هذه التدوينة قد استخدم كلمات انجليزية بطريقة غير مألوفة عند الناس الذين يتكلمون اللغة الإنجليزية، ومن المحتمل كذلك، أنه قصد، في الحقيقة، قول شيء ما يمكن التحقق منه. لكن حتى وإن كان قد جعلنا نفهم بأن القضية التي يرغب في التعبير عنها قابلة للتحقق، فإنه لم يقل شيئا يذكر، بحيث ظل قوله هاهنا دون طموحه. وإذا كان يريد أن يقر، وأظن أن الأمر كذلك، بأن كلماته لا تعبر عن قضية تحصيلية[12]، ولا عن قضية يمكن التحقق منها ولو مبدئيا على الأقل، فإن ما قاله وعبر عنه في شكل منطوق يبقى بدون معنى حرفي حتى بالنسبة له هو نفسه.

ينبغي لنا الإقدام على إجراء تمييز آخر ألا وهو التمييز بين المعنى" الضعيف" والمعنى " القوي" لكلمة " قابل للتحقق". يقال عن قضية ما إنها قابلة للتحقق بالمعنى القوي للكلمة، إذا، وفقط إذا، كان بالإمكان التأكد من صدقها على نحو قاطع وحاسم عبر هذه التجربة أو تلك. لكن، في المقابل، يقال عن قضية ما إنها قابلة للتحقق فقط بالمعنى الضعيف متى كان بإمكان تجربة ما أن تجعل منها قضية احتمالية. فبأي معنى يمكن استخدام الكلمة عندما نقول عن قضية مفترضة إنها قضية حقيقية فقط إذا كانت قابلة للتحقق؟

يبدو لي أنه لو أخذنا بقابلية التحقق القطعي بوصفه معيارا للمعنى، مثلما افترض بعض الوضعيين،[13] لشملت حجتنا عددا من القضايا. لنأخذ، على سبيل المثال، حالة القضايا العامة التي تأتي في صورة قوانين: "الزرنيخ مسموم"، "كل إنسان فان"، " يتمدد الحديد بالحرارة". لا يمكن إثبات صدق هذه القضايا على نحو يقيني، بالنظر إلى طبيعتها، بسلسلة محدودة من الملاحظات. لكن إذا قيل بأن مثل هذه القضايا الكلية، بوصفها قوانينا، هي قضايا ترمي إلى أن تشمل عددا لا نهائي من الحالات، فإنه ينبغي أن نقر بأن هذا النوع من القضايا لا يمكن التحقق منه على نحو قطعي ولو مبدئيا. إذا قبلنا بمبدأ قابلية التحقق، بوصفه معيارا لنا في كشف المعنى، فإننا نكون، والحال هذه، مجبرين منطقيا إلى أن نتخذ من القضايا الكلية ،التي تأتي في صورة قانون، نفس الموقف الذي لنا من قضايا الميتافزيقا[14].

سلك بعض الوضعيين[15]، في علاقتهم بهذه الصعوبة، نهجا مثيرا حيث رأوا في هذه القضايا الكلية أنها تدخل بلا شك في دائرة ما ليس له معنى، وإن كان لا معناها، بالنسبة لهم، يبقى نوعا مهما للغاية. غير أن إدخال كلمة" هام" تبقى هاهنا مجرد محاولة للتهرب. يكفي أن ننتبه إلى اعتراف المفكرين بأن وجهة نظرهم غريبة إلى حد ما من منظور الحسم السليم، بحيث لا تؤدي هذه الطريقة أو تلك إلى تذليل المفارقة. لا تنحصر الصعوبة، علاوة على ذلك، في حالة القضايا الكلية بوصفها قوانين عامة، وإن كانت هي الحالات التي تنجلي فيها بوضوح تام. لا تكاد هذه الصعوبة بالنسبة للقضايا التي تتخذ من الماضي البعيد موضوعا لها أن تكون أقل وضوحا. لذلك ينبغي الاعتراف بأنه مهما بلغت العبارات ذات المضمون التاريخي من قوة في البداهة، فإن صدقها لن

يكون أكثر من احتمال ذي قوة عالية. إن أقل ما يمكن قوله عن الزعم بأنها تشكل نوعا هاما، أو غير هام من بين القضايا التي ليس لها معنى هو أنه قول سخيف. سنجادل بأن أي قضية كائنة ما كانت، ما عدا القضايا التحصيلية، قد لا تعدو أن تكون، في الحقيقة، مجرد فرضية احتمالية. إن واقع حال المبدأ القائل بأن الجملة لا تكون ذات معنى فعلي–واقعي إلا إذا عبرت عما يمكن التحقق منه على نحو قطعي، بوصفه معيارا للمعنى، هو أنه يبطل ذاته بذاته، إذا صح فعلا أن القضية مجرد فرضية احتمالية. الأمر الذي يفضي إلى نتيجة مفادها أنه من المستحيل أن تكون العبارة التي تريد التعبير عن الوقع في كليته عبارة ذات معنى .

كما لا يمكن أن نقبل بالمقترح الذي مفاده أن الجملة لا يمكنها أن تكون ذات معنى على نحو واقعي إلا إذا، وفقط إذا، كانت تعبر عن شيء ما قابل للتكذيب من خلال تجربة ما [16]. لقد أكد هؤلاء الذين تبنوا هذا الإجراء على أنه حتى وإن كان ولا عدد نهائي من الملاحظات يكفي في لحظة ما إقامة الدليل على صدق الفرضية بدون أدنى شك ممكن، فإن هناك عددا من الحالات التي يمكن فيها لملاحظة منفردة، أو لسلسلة من الملاحظات أن تكذبها على نحو قطعي. لكن، مثلما سنرى لاحقا، يبقى هذا الافتراض خاطئا[17]. فبقدر ما لا يمكن التحقق من الفرضية على نحو قطعي، بقدر ما لا يمكن تكذيبها على نحو قطعي. حيث عندما نتخذ وقوع بعض الملاحظات دليلا على كذب فرضية ما، فإنا نفترض وجود شروط معينة. وبالرغم من أنه قد يبدو، في أي حالة كائنة ما كانت، أن احتمال كذب هذه الفرضية أمر مستبعد تماما، فإن كذبها ليس بأمر مستحيل منطقيا. سنرى أنه ليس بتناقض ذاتي أن نتصور الأشياء في حلة جديدة على غير عادتها. ومن ثم فإن الفرضية لا ينتهي بها المطاف إلى دحض فعلي. وإذا كان الأمر كذلك، أي لا يمكن تكذيب فرضية ما على نحو قطعي، فإنه لا يمكننا أن نؤسس صلاحية قضية ما بناء على إمكانية دحضها القطعي.

من ثم، فإننا سنعتمد المعنى الضعيف لكلمة تحقق. قلنا إن السؤال الذي ينبغي إثارته بشأن أي عبارة مفترضة تتخذ من الواقع موضوعا لها ليس هو" هل هنالك ملاحظات تجعل من صدقها أو كذبها يقينا مطلقا؟ بل ببساطة،" هل هناك ملاحظات تسمح بتحديد ما إذا كانت صادقة أو كاذبة؟" وإذا حصل أن كان الجواب بالنفي عن هذا السؤال الأخير، فإننا نستنتج أن العبارة بدون معنى.

ليتضح موقفنا أكثر، يمكن التعبير عنه بطريقة أخرى. لنطلق على القضية التي تعكس ملاحظة ممكنة أو فعلية اسم القضية التجريبية. من ثم يحق لنا أن نقول عنها، أي القضية التجريبية، إنها قضية حقيقية ذات مضمون واقعي، وليس أنه يفترض فيها أن تتكافأ مع قضية تجريبية أو مع عدد محدود من القضايا التجريبية. بل ما هنالك ببساطة هو أنه يمكن استنباط بعض القضايا التجريبية منها في علاقة ببعض المقدمات الأخرى من دون أن تستنبط من هذه المقدمات وحدها.[18]

يبدو أن هذا المعيار منفتحا بما فيه الكفاية. فعلى خلاف مبدأ قابلية التحقق القطعي، لا ينفي هذا المبدأ المعنى عن القضايا العامة أو القضايا التي تتخذ من الماضي موضوعا لها. دعنا نرى أنواع الجزم الذي يستبعد.

يبقى القول بأن عالم التجربة الحسية عالم خادع لحواسنا مثالا للقول الذي يعتبره معيارنا ليس فقط كاذبا بل بدون معنى. قد يحصل، كنتيجة لامتلاك إحساسات معينة، أن نتوقع إمكانية حيازة إحساسات أخرى التي هي ، في الحقيقة، غير متحققة. لكن تبقى التجربة الحسية التي تخبرنا بعدم صواب حواسنا تجربة نافلة في جميع الأحوال. نقول إن الحواس عادة ما تخدعنا، فقط لأن التوقعات التي تنشأ عن تجاربنا الحسية ليست بتجارب في حد ذاتها. ما هنالك هو أننا نعول على حواسنا في تثبيت أو إبطال الأحكام التي تأسست على إحساساتنا. ومن ثم فإن واقع كون أن أحكامنا بشأن إدراكاتنا الحسية قد تكون مضللة أحيانا، لا يمكن رده إلى النزوع نحو نفي الطابع الواقعي عن عالم التجربة الحسية. حاصل القول كل من يدين العالم الحسي بأنه مجرد عالم الوهم، كنقيض لعالم الواقع، فإنه يقول، بحسب المعيار الذي اتخذناه محددا للمعنى، شيئا ما بلا معنى بالمعنى الدقيق لكلمة معنى.

ينبغي أن نرى في النزاع الذي دار بين هؤلاء الذين تجادلوا بشأن عدد الجواهر التي توجد بالعالم، مجرد نزاع مفتعل، بحسب ما يقضي به معيارنا. من الثابت بحسب هذا المعيار أن من المستحيل أن نتصور أي وضعية تجريبية يمكنها أن تؤدي إلى إيجاد حل للخلاف القائم بين الاسميين الذين يدعون أن الواقع واحد في جوهره، وبين هؤلاء الذين يدعون، في المقابل، أنه متعدد. لكن إن قلنا إنه ليس هناك أي ملاحظة ممكنة يمكن بموجبها أن نقر باحتمالية الإثبات الذي مفاده أن الواقع جوهر واحد، وذاك الذي يقر بتعدده، فإنه ينبغي أن نستنتج بأن الإثباتين معا هما بدون معنى. سنرى لاحقا، فيما يخص هذه النقطة، أن هناك أسئلة منطقية وتجريبية في الخلاف القائم بين القائلين بوحدة الوجود والقائلين بأنه متعدد[19]. لكن ما تم استبعاده هو السؤال المتافيزيقي المتعلق " بالجوهر" بوصفه سؤالا نافلا.

ينبغي معالجة النزاع الدائر بين الواقيين والمثاليين في جوانبه المتافيزيقية بنفس الكيفية[20]. يمكن أن نستعين في هذه النقطة بتوضيح بسيط سبق لي أن قدمته في مكان آخر بحجة مماثلة. لنفترض أن صورة ما قد تم اكتشافها، وأن من قام بصباغتها هو "غويا". هناك إجراء محدد في التعامل مع هذا السؤال. يدقق الخبراء، في الصورة، مدى التشابه القائم بينها وبين أعمال غويا المعتمدة، وما إذا كانت تحمل أي علامات مميزة تكشف عن زيفها؛ يحذلقون في سجلات حديثة للتيقن من وجود مثل هذه الصورة..إلخ. قد يحصل أن يختلفوا في ما تم التوصل إليه، لكن مع ذلك كل واحد منهم سيعرف الشهادة التجريبية التي تؤكد رأيه أو تضعفه. ولنفترض الآن أن هؤلاء قد درسوا الفلسفة، وأن البعض منهم مضى في ادعاء أن هذه الصورة عبارة عن مزيج من الأفكار في عقل الملاحظ، أو في عقل الله، في الوقت الذي يرى فيه الآخرون أن هذه الصورة هي من الناحية الموضوعية صورة واقعية. ما هي إذن التجربة الممكنة التي يمكن أن تكون في متناول أي واحد منهم، والتي ستؤدي إلى حل هذا الخلاف بهذه الطريقة أو تلك؟ إذا أخذنا بالمعنى العادي لكلمة " واقعي" التي تتعارض مع " وهمي"، فإن واقع الصورة لن يخامرنا فيه شك. لقد اقتنع المتجادلون بأنفسهم بأن الصورة واقعية، بهذا المعنى، من خلال الحصول على سلسلة مترابطة من الإحساسات البصرية منها واللمسية. أهنالك عملية شبيهة يمكنهم بفضلها اكتشاف ما إذا كانت الصورة واقعية، بالمعنى الذي تتعارض فيه كلمة " واقعي" مع " مثالي"؟ ليس هناك، على ما يبدو بوضوح، مثل هذه العملية. لكن إذا كان الأمر كذلك، فإن المشكل يبقى مشكلا مزعوما بالاستناد إلى معيارنا. لا يعني هذا أن الخلاف بين الواقعي والمثالي قد يتم استبعاده بأريحية وبدون مزيد من الجهد. يصح أن ننظر إليه بوصفه خلافا يتعلق بتحليل القضايا الوجودية، وبكونه يدخل في باب المشاكل المنطقية، ومن ثم يمكن الحسم في حله بشكل نهائي[21]. ما كشفنا عنه فيما يخص المشكل الذي بات محط خلاف بين الواقعيين والمثاليين هو أن ما قيل بشأنه قد تم، في العادة، من منظور متافيزيقي، ولأن الأمر كذلك، فإنه لا يعدو أن يكون مجرد مشكل زائف.

لا يحتاج الأمر إلى مزيد من الأمثلة فيما يخص كيفية اشتغال معيارنا في المعنى. لهذا فإن هدفنا يتمثل في إظهار أن الفلسفة كفرع معرفي أصيل ينبغي تمييزه عن المتافيزيقا. لا يهمنا هاهنا السؤال التاريخي الذي يقضي بالتساؤل عن عدد الأشياء التي عدت في الماضي فلسفية وتبين الآن أنها متافيزيقية. حيث سنبين لاحقا أن معظم فلاسفة الماضي "المتميزين "، لم يكونوا بالأساس متافيزيقيين[22]. وبذلك يطمئن هؤلاء الذين كانوا سيمتنعون عن الأخذ بمعيارنا مأخذ الثقة الراسخة.

أما في ما يخص صلاحية مبدأ التحقق بالصورة التي قدمناها بها، فإننا سنوضح ذلك في هذا الكتاب. حيث سنبين أن جملة القضايا التي تتعلق بالوقائع، تبقى فرضيات تجريبية، وأن وظيفة فرضية معينة هو أنها تمنحنا قاعدة لتوقع التجربة[23]. وهذا يعني أن كل فرضية تجريبية ينبغي أن تتعلق بهذه التجربة أو تلك، سواء أكانت تجربة فعلية أو ممكنة، وأن أي عبارة لا تتعلق بأي تجربة، كائنة ما كانت، هي ليست بفرضية تجريبية، وبموجب ذلك، فإنه ليس لها أي مضمون واقعي. لكن مبدأ قابلية التحقق هو ما يمكن أن يحسم الأمر في إطار مهمته .

يتعين أن نشير إلى أن تعذر المعنى عن منطوقات المتافيزيقي، لا يعود فقط إلى كونها لا تملك مضمونا واقعيا، بل كذلك إلى واقع كونها ليست بمثابة قضايا قبلية. وبتأكيدنا على أنها ليست بقضايا قبلية، فإننا نكون قد استبقنا مرة أخرى نتائج فصل لاحق يندرج في هذا الكتاب[24]، حيث سنبين أن الجذب الذي كانت تمارسه القضايا القبلية على الفلاسفة كان يعود إلى ما تتسم به من يقين، وأن يقينها هذا يعود إلى كونها تدخل في باب التحصيليات. يحق لنا، من ثم، أن نعرف القضية المتافيزيقية بوصفها العبارة التي تهدف إلى التعبير عن قضية حقيقية، لكنها تبقى، في الحقيقة، دون طموحها بحيث لا تعبر لا عن قضية تحصيلية ولا عن فرضية تجريبية. ولأن التحصيليات والفرضيات التجريبية تبقى شكلا من بين أشكال القضايا ذات المعنى، فإننا نكون قد استدللنا على أن إثباتات المتافيزيقي تظل بدون معنى. أما كيف يتوصل الميتافزيقي إلى صياغة مثل هذه الإثباتات فذلك ما سنوضحه لاحقا.

يبقى استخدام كلمة" جوهر"، التي سبق أن قمنا بالإحالة عليها، أفضل مثال على الطريقة التي تنشأ بها المتافيزيقا عادة. قد يشهد واقع الحال أننا لا نستطيع في لغتنا الإحالة على خصائص حسية لشيء ما دون أن نوظف في ذلك كلمة أو جملة التي يبدو أنها تمثيل لشيء ما في حد ذاته، وليس ما يمكن أن يقال عن هذا الشيء. وكنتيجة فإن هؤلاء الذين ابتلوا بالخرافة القديمة التي مفادها أن لكل اسم كيان واقعي مفرد يقابلة بالضرورة، قد افترضوا أنه من الضروري التمييز منطقيا بين الشيء في حد ذاته وبين مجموع خصائصه المحسوسة. ولذلك فإنهم يستخدمون كلمة "جوهر" للإحالة على ما يجعل هذا الشيء أو ذاك هو نفسه وليس غيره. لكن كوننا نصادف حالات نحيل فيها على شيء ما بكلمة مفردة، بحيث تصبح هذه الكلمة بمثابة موضوع نحوي في الجمل التي نحيل من خلالها على هذا الشيء أو ذاك، لا يستتبع قط أن هذا الشيء هو بمثابة "كيان بسيط"، أو أنه لا يمكن تعريفه بحدود ما له من خصائص ظاهرة. صحيح أننا في حديثنا عن مظاهره نذهب إلى تمييز الشيء عن المظاهر، لكن ذلك يرجع إلى جانب عرضي في اللغة المستخدمة ليس إلا. يكشف التحليل المنطقي أن ما يجعل تلك " المظاهر" "مظاهرا" للشيء الواحد ليس لأنها تتعلق بكيان ليس إياها، بل علاقتها بهذا الواحد المختلف عن غيره هو ما يجعلها كذلك. ما يجعل المتافيزيقي يخفق في الانتباه إلى هذا الأمر هو انخداعه بالبنية السطحية لنحو لغته.

يظل مفهوم الوجود، بوصفه مفهوما متافيزيقيا، مثالا واضحا وبسيطا في الكشف عن الطريقة التي يؤدي بها النحو إلى الوقوع في المتافيزيقا. لعل التشابه القائم بين الجمل التي تعبر عن قضايا وجودية وبين تلك التي تعبر عن قضايا حملية، هو ما يجعلنا نعتقد بتماثلها في الصورة النحوية؛ ذلك ما يفسر ميلنا إلى إثارة أسئلة وجودية لا يمكن لأي تجربة معقولة أن تجيبنا عنها. لنضرب مثالا بهاتين الجملتين: " الشهداء يوجدون" و" الشهداء يعانون"، تتكون كل جملة هاهنا من اسم وفعل لازم، ولأنهما يملكان نفس الصورة النحوية، فإننا نذهب إلى اعتبارهما وكأنهما من نفس النمط المنطقي. يتعلق الأمر في هذه القضية" الشهداء يعانون"، على ما يبدو بوضوح، بنسب سمة ما إلى أعضاء فئة نوع محدد، كما أنه من الواضح كذلك أننا أحيانا نعتبر أن ما ينطبق على هذه الأخيرة يصدق على قضايا أخرى مثل" الشهداء يوجدون". إذا كان هذا هو الحال فعلا، فإنه سيصح حقا أن نفكر في وجود الشهداء مثلما نفكر في معاناتهم. لكن الوجود، مثلما بين كانط، ليس بمثابة محمول[25]. لهذا، فإننا عندما نسند محمولا ما إلى شيء محدد، فإننا نقر ضمنيا بوجوده: حيث لو كان الوجود نفسه محمولا، لكانت كل القضايا الوجودية الموجبة تحصيلية، والقضايا الوجودية السالبة قضايا متناقضة ذاتيا، لكن الحال ليس كذلك[26]. هكذا فإن هؤلاء الذين يطرحون أسئلة بصدد الوجود التي تتأسس على افتراض أن الوجود محمول من بين المحمولات يقترفون ذنب إتباع قواعد النحو إلى ما وراء حدود المعنى.

نفس الخطأ يتم ارتكابه في مثل هذه القضايا " أحادي القرن كائن خرافي". يتمثل الخطأ هاهنا، مرة أخرى، في افتراض أن هذه القضية هي من نفس النمط المنطقي لقضية " الكلاب مخلصة"، وذلك بالنظر إلى التشابه النحوي بين هاتين الجملتين الانجليزيتين، وبين الجمل المطابقة لها في اللغات الأخرى. فلأنه ينبغي للكلاب أن توجد حتى تحوز على خاصية الإخلاص، فإن أحادي القرن

لو لم تكن كذلك ذات نمط معين من الوجود، لما أمكن القول عنها إنها خرافية؛ لذلك فهي تملك الخاصية الخرافية مثلما تملك الكلاب خاصية الإخلاص. لكن بما أن هناك تناقضا ذاتيا على ما يبدو بوضوح في القول بأن الموضوعات الخرافية موجودة، فإنه قد تم التذرع بالقول إنها واقعية بالمعنى غير التجريبي للكلمة- ذلك بالنظر إلى أنها تملك نمطا من الوجود الواقعي، الذي يختلف عن نمط وجود الأشياء التي توجد على نحو فعلي[27]. لكن بما أنه ليس هناك أي طريقة لاختبار ما إذا كان موضوع ما واقعيا بهذا المعنى، طريقة نمتحن من خلالها إن كان هناك مثل هذا الموضوع يوجد على نحو واقعي بالمعنى المتداول لكلمة "واقع"، فإن الجزم بأن الموضوعات الخرافية لها نمط خاص من الوجود الواقعي غير التجريبي، يظل جزما بدون معنى حقيقي. لعله ينتج عن الافتراض بأن خاصية الخرافية هي محمول من بين المحمولات الأخرى. هذه المغالطة هي من نفس طبيعة مغالطة افتراض أن الوجود محمول، ولذلك يمكن الكشف عنها بنفس الكيفية.

عموما، تعود المصادرة على كيانات لا توجد بالمعنى الواقعي لكلمة واقع إلى المعتقد الخرافي الذي قمت بالإحالة عليها قبل قليل، المعتقد الخرافي الذي يعتبر أن كل كلمة أو جملة يمكنها أن تكون موضوعا نحويا لعبارة ما، ينبغي أن يكون هناك كيان ما يطابقها في مكان ما. فبالنظر إلى أنه ليس هناك ولا مكان واحد بالعالم التجريبي يشهد على وجود عددا من تلك" الكيانات"، فإنه يتم الاستنجاد بعالم خاص غير تجريبي ليكون مأوى لها. ينبغي أن ننسب هذا الخطأ، ليس فقط إلى منطوقات هيدغر، الذي شيد فلسفته المتافيزيقية على افتراض أن " العدم " بمثابة اسم يمكن استخدامه للدلالة على شيء ما خفي بطريقة غريبة ومميزة[28]، بل حتى إلى تلك المشاكل الشهيرة التي قامت على سؤال مدى واقعية القضايا والكليات باعتبارها أسئلة بدون معنى، وإن كانت لم تعد قائمة.

تبقى تلك الأمثلة دليلا كافيا للاهتداء إلى الطريقة التي تصاغ بها معظم إثباتات المتافيزيقا. لعلها تبين لنا كيف أنه من السهل إنشاء جمل بلا معنى حرفي دون التفطن إلى أنها كذلك. ولهذا نرى أن المنظور الذي يعتبر أن عددا من" مشاكل الفلسفة" التقليدية، تبقى مشاكل متافيزيقة، ومن ثم مفتعلة، لا ينطوي على أية افتراضات غير معقولة بشأن سكلوجية الفلاسفة.

هناك من أقر بأنه إذا ما نحن اعتبرنا الفلسفة نوعا أصيلا من المعرفة، فإنه ينبغي تحديدها على نحو يسمح بتمييزها عن المتافيزيقا، إنه لمن الموضة أن نتحدث عن المتافزيقي من منطلق أنه شاعر في غير محله. وبالنظر إلى أن عباراته لن تخضع لأي معيار للصدق أو الكذب، فإنها تبقى بدون معنى حقيقي يذكر: لكن قد تصلح في التعبير أو إثارة المشاعر، وتكون من ثم موضوعا لمقاييس أخلاقية وجمالية. كما يفترض أن من المحتمل أن تكون ذات قيمة عظيمة، بوصفها وسائلا للإلهام الأخلاقي، أو حتى بوصفها آثارا فنية. يمثل هذا الموقف محاولة لتعويض المتافيزيقي عما لحقه من عزل عن مجال الفلسفة[29].

إني لآسف على مغادرته. يبدو أن وجهة النظر التي تقر بأن المتافيزيقي يبقى واحدا من بين الشعراء تفترض أنهما معا يقولا ما ليس له معنى. لكن هذا الافتراض ليس بصحيح. فالغالبية العظمى من حالات الجمل التي ينتجها الشعراء هي ليست بدون معنى حرفي. لا يتمثل الفرق بين من يستخدم اللغة استخداما علميا وبين من يستخدمها على نحو مثير للعواطف، في كون أن الأول ينتج جملا غير قادرة على إثارة العواطف وأن الجمل الأخرى هي بدون معنى، بل يتمثل الفرق في أن أحدهما يهتم بالدرجة الأولى بالتعبير عن قضايا صادقة، في الوقت الذي يستهدف الآخر إبداع أثر فني. لهذا، فإذا حصل أن تضمن إنتاج علمي قضايا صادقة وهامة، فإن قيمته كمنتوج علمي تكاد لا تنقص بالنظر إلى واقع أن التعبير عن هذه القضايا لا يتم على نحو أنيق. وبصورة مماثلة، ليس العمل الفني بالضرورة عملا سيئا بالنظر إلى أن كل القضايا التي يتألف منها ليست ذات معنى حرفي. لكن القول بأن عددا من الأعمال الأدبية تنطوي بشكل كبير على قضايا بدون معنى، لا يعني أننا نقول إنها تتضمن أشباه قضايا. قل ما ينتج المبدع الفني، في الحقيقة، جملا ليس لها أي معنى حرفي. وحيثما يحصل ذلك، تكون الجمل قد اختيرت بعناية ودقة أخذا بعين الاعتبار وزنها

وإيقاعها. فإذا كتب الكاتب ما ليس له معنى، فإن ذلك يعود إلى كونه يكون قد ارتأى أن هذا الأسلوب في الكتابة يتلاءم تماما مع ما يطمح إلى تحقيقه.

لا يقصد المتافيزيقي، من ناحية أخرى، إنتاج ما ليس له معنى، بل إن انخداعه بالنحو هو ما يفسر قوله للمتافيزيقا، أو لأنه يخطئ في الحكم، مثلما هو الشأن مثلا بالنسبة لحكمه على العالم الحسي بأنه ليس بعالم واقعي. غير أن ارتكاب أخطاء من هذا النوع لا يكفي لأن يكون مؤشرا على أن صاحبها شاعر. فهناك بالأحرى، من سيرى في واقع كون أن منطوقات المتافزيقي منطوقات بلا معنى، حجة ضد الرأي القائل بأن لها قيمة جمالية. كما أنه بدون أن نذهب بعيدا إلى هذا الحد، يمكننا القول بأمان إنها لا تشكل حجة على ذلك[30].

فحتى وإن صدق أن القسم الأعظم من المتافيزيقا مجرد تجسيد لأخطاء رتيبة، فإنه لا يمكن مع ذلك إنكار أن عددا من العبارات المتافزيقية تبقى أثرا لشعور صوفي أصيل، وأنه من المعقول تماما النظر إليها بأنها ذات قيمة أخلاقية وجمالية. أما في ما يخص التمييز بين صنف الميتافيزيقا التي تعود إلى انخداع الفيلسوف بالنحو، وبين الصنف الذي ينتجه الصوفي الذي يحاول التعبير عما لا يمكن التعبير عنه، فإنه ليس ذا أهمية كبيرة تذكر: ما يهم هو أن نعلم أن المنطوقات المتافيزيقية التي يسعى من خلالها المتافزيقي إلى تفسير وجهة نظره تبقى بدون معنى حرفي. من ثم قد نواصل من الآن فصاعدا أبحاثنا الفلسفية بقليل من النظر إليها وكأنها تمثل ذلك النوع من الميتافيزيقا الذي يعود إلى الإخفاق في فهم كيفيات اشتغال لغتنا.

**الهوامش:**

[1] يعود هذا العمل الذي قمنا بترجمته، من لغته الأصلية الانجليزية، إلى ألفرد آير وهو فيلسوف ينتمي إلى الحركة الفلسفية–المنطقية، التي اشتهرت باسم الوضعية المنطقية. يمثل هذا العمل الفصل الأول من كتابة " اللغة، الصدق، المنطق"، الذي يبقى كتابا غاية في الأهمية لكل من أراد أن يعرف نظرة الوضعيين المناطقة للمتافيزيقا ولمهمة الفيلسوف. يعكس هذا الكتاب التحول الجذري الذي عرفته الفلسفة خلال القرن العشرين بفضل تطور المنطق واقتناع الفلاسفة بأن التفلسف لا يمكن أن يتم بدون تحليل اللغة التي نستخدم في سبيل تحقيق هذه المهمة، ما دام أن هذه العناية باللغة التي يستخدمها الفيلسوف يمكن أن تجنبه قول ما ليس له معنى.

[2] لقد سبق لراسل أن اعتنق هذا الرأي عندما اعتبر أن كل ميادين المعرفة العلمية محاطة بمناطق المجهول على حد قوله، قاصدا بذلك أن كل ميدان علمي لا بد أن يتوقف على الفلسفة، بحيث أن العلماء عادة ما يصلون إلى الحدود حيث تقوم مشاكل وألغاز لا يستطيعون أمامها الاستمرار في البحث ومن ثم الإجابة؛ لأنها تحتاج إلى التأمل والمغامرة الاستكشافية. يمكن هاهنا أن نضرب مثالا بإسحاق نيوتن الذي سار بشكل طبيعي في أبحاثه، لكن عندما وصل إلى حد من البحث في أسرار الكون الطبيعي انتابته الرغبة في معرفة أصل الجاذبية بوصفها قوة فيزيائية منتشرة في كل مكان. لقد طرح سؤال ما أصل الجاذبية؟ وهو سؤال متافزيقي في العمق ما دام أنه يستهدف معرفة الغاية من وجود الجاذبية. لا يمكنه كفيزيائي طبعا أن يجيب عن سؤال غائي بتعبير أرسطو. لا يمكن، بالنسبة لمن يدافع عن هذا الرأي الذي يقر بأن هناك أسئلة عادة ما يتركها العالم للفيلسوف، أن نجيب عن هذا السؤال إجابة علمية دقيقة. لم يفت نيوتن، طبعا، أن أجاب عن هذا السؤال بالقول إن الله قد خلق الحب في أشياء الطبيعة وبالتالي تميل إلى بعضها بعضا، لكن هذا الجواب يبقى جوابا غير علمي، أي ليس بجواب يمكن أن يقوم على التجربة التي تتأسس على الملاحظات.

[3] تعمدت هنا أن أترجم كلمة transcendent بدلا من الاكتفاء بتعريبها تجنبا للخلط الذي يمكن أن يقع بينها وبين كلمة ترنسندنتالي transcendental كما استخدمها كانط في تفسيره للشروط القبلية التي تجعل كل تجربة ممكنة باعتباره شروطا محايثة للعقل. فصورتا الزمان والمكان كشرطين قبليين لكل معرفة ممكنة بالظواهر، حسب كانط، هما شرطان ترنسندنتاليان لتنظيم كل تجربة ممكنة. لهذا فإن كلمة ترنسندنتالي تحيل على كل شرط قبلي يجعل التجربة ممكنة، وبالتالي فهي ذات علاقة بالتجربة، بينما مفهوم "متعال" لا يأخذ هذا المعنى هاهنا بحكم أنه لا يمثل ما هو قبلي ولا علاقة له بالتجربة بل يبقى نقيضا لها؛ ففكرة الله أو الحرية مثلا هي ليست بشرط ترنسندنتالي للمعرفة وإنما هي فكرة متعالية تتجاوز كل محسوس ولا تنطبق على تجربة ممكنة أو تنظمها. وبذلك فإن المعنى المقصود هنا هو الأفكار والإثباتات المتافيزيقية التي تبقى متعالية على التجربة.

[4] يمكن هاهنا الاستشهاد بروني ديكارت الذي زعم أنه استطاع إدراك أنه كائن يفكر ومن ثم موجود، بحيث لم يكن بحاجة على حد تعبيره إلى الاستناد في هذا الجزم بوجوده إلى معطيات تجريبية أو إلى شهادة حواسه، مادامت هذه الأخيرة لا تؤتمن بالنسبة إليه في ما تنقله إلينا. كل ما في الأمر أنه يملك قدرة حدسية مكنته من رؤية حقيقة كونه يفكر ومن ثم حقيقة كونه موجودا. إن حقيقة " أنا أفكر إذن أنا موجود" وإن كانت تبدو وكأنها استدلالية في الظاهر، فإنها بالنسبة إليه، ليست كذلك مادام أنه توصل إليها عبر رؤية عقلية مباشرة واستنادا إلى نور فطري. يكفي الانتباه إلى الصيغة التي جاءت بها عبارته الشهيرة هذه في كتاب التأملات حتى يتبين هذا الأمر؛ إنها لم تتضمن في هذا الكتاب الأخير، عكس كتاب المنهج، أداة الاستدلال" إذن"، بحيث قال" أنا أفكر أنا موجود" حتى يبين أن الجزم بحقيقة وجوده لم تكن نتيجة استدلالية لمقدمات تجريبية أو عقلية.

[5] هذا ما كان يقوم به الفلاسفة حقيقة قبل حدوث المنعطف اللغوي في الفلسفة الذي يتمثل في ظهور الفلسفة التحليلية؛ بحيث كانوا ينتقدون الأنساق المتافيزيقية لبعضهم بعضا من داخل نفس الأفق، وبالتالي ما كانوا ينتهون إليه من هذا النقد، لم يكن يخرج من دائرة المتافيزيقا. إن تغيير وجهة النظر إلى مشكل معين اعتمادا على المتافيزيقا لا يمكن أن ينتج سوى متافيزيقا؛ لقد حاول ديكارت مثلا أن يبين تهافت بعض الجوانب في فلسفة أرسطو، لكن ما قال ديكارت نفسه لا يمكن أن يخرج عن دائرة المتافيزيقا. هذا ما عبر عنه موريس شليك بطريقة تبعث على الإحباط في منح ثقتنا لنسق متافيزيقي معين، ما دام لا يفرض نفسه بوصفه نسقا قد حسم الجدال في نقط محددة. لذلك فإن آير أراد هاهنا أن يبين أن السعي إلى هدم المتافيزيقا بالمتافيزيقا نفسها لا بد أن ينتهي إلى الفشل بحيث لن يبين لنا مثل هذا النقد عيوب المتافيزيقا كمتافيزيقا.

[6] يريد آير أن يبين مدى الفرق بينهم كوضعيين مناطقة وبين كانط الذي سبق أن أقر باستحالة المتافيزيقا؛ فالإقرار باستحالة المتافيزيقا كما أثارها كانط، لم يحظ بالقبول من طرفهم لأن كانط رد المسألة، بالنسبة إليهم، إلى نقص في الفهم الإنساني، بحيث لو أن لنا أفهاما كاملة لأدركنا وجود الله مثلما ندرك الشجرة مثلا. وبالتالي لما كانت المتافيزيقا مستحيلة. أما بالنسبة إليهم فإنهم اعتبروا أن هذا التأويل لاستحالة المتافيزيقا ليس بصحيح، لذلك فقد ردوا هذه الاستحالة إلى كون أن عبارات الفيلسوف لا تتوفر فيها شروط المعنى بحيث هي أقول لا يمكن التحقق منها مطلقا من خلال تجربة ممكنة. هكذا فإن المتافيزيقا غير ممكنة ليس لأن واقع ذكائنا لا يسمح بذلك، بل لأنها لا تستجيب لشروط منطق العبارات ذات المعنى الحرفي.

[7] Tractatus Logico-Philosophicus. Preface.

[8] nd ed. p. 1.2 Bradley, Apperance and Reality,

[9] ينبغي الإشارة هاهنا إلى أن الوضعيين المناطقة قد اتخذوا من **الرسالة الفلسفية المنطقية** لفتجنشتين بمثابة إنجيل لهم، بحيث رأوا فيها نموذجا إرشاديا لكل محاولة فلسفية تسعى إلى أن تكون مشروعة وبعيدة عن شبهة قول اللغو. لقدا اعتبروا أن الرسالة نقد للمتافيزيقا وهدم لها بحكم أن فتجنشتين قد جزم من داخل هذه الرسالة بأن المتافيزيقي يقول ما لا يمكن قوله، وبالتالي يتعذر المعنى على منطوقاته، بحيث أن عبارات مثل هذا المتافيزيقي لا تنقل لنا صورة عن الواقع الخارجي كما هو حال العبارات العلمية التي تسجل وقائع هذا العالم. من ثم فقد تسرع البعض في الحكم بأن فتجنشتين يبقى واحدا من الوضعيين المناطقة، لكنه تأويل كذبه فتجنشتين نفسه بحيث عبر لهم عن اختلافه معهم في جوانب مهمة. لذلك فإنه لا يمكن القول عن الرسالة بأنها تنطوي بشكل صريح على ما يمكن تسميته بمعيار قابلية التحقق التجريبي كمعيار في المعنى، بحيث تكون القضية ذات معنى إذا، وفقط إذا، كانت قابلة للتحقق من خلال تجربة مباشرة، وتكون بلا معنى إذا لم تقبل بهذا التحقق. ولأن العبارات المتافيزيقية لا تقبل مثل هذا الحقق التجريبي فإنها تبقى بالضرورة بلا معنى.

[10] This example has been used by professor Schlick to ullustrate the same point.

[11] A remark taken at random from Appearnce and Reality, by F.H. Bradley.

[12] يقصد بالتحصيليات تلك القضايا التي لا يمكن أن نستنتج صدقها أو كذبها انطلاقا من تجربة ممكنة؛ هذا النوع من القضايا هو ما يمكن أن نجده في الرياضيات والمنطق. لقد عبر فتجنشتين عن طبيعة هذه التحصيليات بالقول إنها لا تقول لنا شيئا عن الواقع الخارجي. لذلك ينبغي تسميتها قضايا فارغة من المعنى بينما "القضايا المتافيزيقية" قضايا بلا معنى، لأنها ليست من نفس النمط؛ فقضايا المتافيزيقا ليست كاذبة، وبالتالي لا يمكن أن تكون ذات معنى. فهذه القضايا التحصيلية بالرغم من أنها لا تقبل التحقق التجريبي، فإنها لا تندرج في خانة المتافيزيقا، ما دام أن الرياضي لا يدعي أنه يقدم لنا صورة عن الواقع الخارجي عكس المتافيزيقي الذي يدعي أنه يقول لنا شيئا مهما وصادقا عن الواقع.

[13] e.g. M. schlick, « Positivismus und Realismus, Erkenntnis, Vol. I, 1930. F. Waismann, « Logische Analyse des Warscheeinlichkeitsbegriffs, Erkenntnis, Vol. I, 1930.

[14] يبقى موقف آير من معيار قابلية التحقق مقارنة بالوضعيين المناطقة الراديكاليين، موقفا معتدلا بحيث يعتبر أن من يدعي بأن التحقق ينبغي أن يكون دائما بالمعنى القوي ليس محقا في ما يدعيه، مادام أن القضايا التي يتم إخضاعها للاختبار لا تعدو أن تكون فرضيات احتمالية، الفرضية الاحتمالية ليست بالضرورة صادقة دائما. لذلك فإن التحقق على نحو قطعي لا يمكن اعتباره المعيار الذي ينبغي اعتماده في الفصل بين ماله معنى وما ليس له معنى، وإلا سنحكم على العبارات التاريخية مثلا بأنها بدون معنى، في حين هي فرضيات محتملة شأنها في ذلك شأن الفرضيات التجريبية. هكذا يكون آير قد وسع من مدى معيار قابلية التحقق عندما أقر بإمكانية قابلية التحقق بالمعنى الضعيف لكلمة تحقق، مخففا من حدة الانتقادات التي وجهت للوضعيين المناطقة في ما يخص صرامة وراديكالية معيار المعنى عندما اشترطوا قابلية التحقق بالمعنى القوي لكل تعبير يمكنه أن يكون ذا معنى.

[15] M. Schlick. « Die Kausalitat in der gegenwartigen Physic » , Naturwissenschaft , Vol. 19, . e.g 1931.

[16] This has been proposed by Karl Poper in his Logik der Forschung .

[17] يحيل هنا ألفرد آير على كارل بوبر الذي اشتهر بنقده لمعيار قابلية التحقق كما فهمته الوضعية المنطقية. لقد اعتبر كارل بوبر أن القانون الفيزيائي مثلا لا يمكن الزعم يوما ما أنه تحقق بشكل حاسم وقطعي؛ إن ملايين الشواهد الإيجابية التي تؤكد بأن الشمس تشرق من المشرق كل صباح لن تكفي للحكم بشكل قطعي وحاسم بأن الشمس لن تشرق في المستقبل من المغرب، بل يمكن، مثلما قال دافيد هيوم، أن أتصورها بأنها ستشرق من المغرب دون استشعارنا لأي تناقض منطقي. وبالتالي ليس هناك ما يميز واقع شروقها من المشرق عن إمكانية طلوعها من المغرب. إذن مهما وصل عدد الشواهد الإيجابية لا يمكن حسب كارل بوبر الإقرار بصدق هذه الواقعة الفلكية على نحو قطعي وحاسم، لكن، في المقابل، لو قدر لهذه الشمس أن طلعت علينا من المغرب، فإن هذه الحقيقة الفلكية التي مفادها أن الشمس تشرق دوما من المشرق ستصبح كاذبة في أعيننا. من ثم فإن دليلا سلبيا واحدا قادر على تكذيب القانون أو النظرية، لكن ملايين الشواهد الإيجابية لن تحسم في صدق هذه الواقعة أو تلك. لهذا السبب سيقول كارل بوبر ألا ينبغي أن نأخذ بالأحرى بمبدأ قابلية التكذيب بدلا من معيار قابلية التحقق في إطار التمييز بين المعنى وما ليس له معنى، وبين ما يدخل في باب العلم التجريبي وما ليس كذلك.

[18] This is an over-simpled statement,which is not literally correct. I give what I believe to be the correct formulation in the Introduction, P. 16

[19] In chapter VIII.

[20] « Demonstration of Impossibility of Metaphysics », Mind, 1934, p. 339. Vide

[21] Vide chapter VIII.

[22] يحيل هنا آير على جون لوك ودافيد هيوم، والفلسفة التجريبية بشكل عام. يبقى هيوم في نظر الوضعيين المناطقة أبرز فلاسفة الاعصر الحديث الذين فتحوا أفقا جديدا للفلسفة عندما اعتبروا أن بحث الفيلسوف في الماورائيات لا يجدي نفعا. لقد اعتبر دافيد هيوم أن المنطوقات التي لا هي تتحدث في الواقع الخارجي ولا في العلاقات القائمة بين الأفكار، العلاقات المنطقية والرياضية، لابد أن تكون مجرد لغو، ومتى صادفنا مؤلفات لا تدرس هذين المجالين الأخيرين فينبغي أن نستنتج أنها لا تقول شيئا اللهم الهذيان المتافزيقي، ومن ثم فإنها تستحق، في نظره، أن نلقي بها في النار على حد قوله.

[23] Vide Chapter V.

[24] Chapter IV.

[25] Vide The Critique of Pure Reason, ‘ Transcendental Dialectic’ Book II Chapter iii, section 4.

[26] This argument is well stated by Jhon Wisdom , Interpretation and analysis, pp. 62, 63.

[27] ينطبق هذا النقد على برتراند راسل حيث اعتبر هو الآخر أن نفي وجود شيء ما لا يمكن أن يستقيم ما لم نفترض أن هناك شيئا ما حتى ننفي وجوده. حتى نقول مثلا إن " البراق" غير موجود ينبغي أن يملك حد البراق نمطا من الوجود، وإن لم يكن وجودا فعليا، حتى أستطيع نفي وجوده. هنا سيضطر راسل إلى الحديث عن أنماط الوجود: حيث ميز بين الوجود الخارجي الفعليExistence وبين الوجود الاعتباري-أو دوام الوجودsubsistence، كمحاولة منه لبيان أن الكيانات الرياضية والخرافية مثلا لابد أن لهما نمطا من الوجود وإلا لما تصورناها ولما أمكننا نفي وجودها على نحو ذي معنى.

[28] criticized by Rodolf Carnap in his 'Uberwindung der : Vide Was ist Metaphysik, by Heidger MetaphysiK durch logische Analyse der Sprache',Erkenntnis, Vol. II, 1932.

[29] For a discussion of this point, see also C. A. Mace. 'Representation and Expression', Analysis, Vol. No. 53, and'Metaphysics and Emotive Language', Analysis, Vol. II. Nos. 1 and 2.

[30] يميز هنا آير بين عدم امتلاك المنطوقات الشعرية للمعنى وبين امتلاكها للقيمة الجمالية؛ افتقار عبارات قصيدة شعرية مثلا للمعنى الحرفي لا يعني أن هذه القصيدة ليست ذات قيمة جمالية وبأنها مجرد لغو من منظور الشاعر بل والفيلسوف، بل ما هنالك هو أنها ليست بعبارات ذات علاقة بوقائع العالم الخارجي، بدليل أن لا يمكن التحقق منها من خلال تجربة ممكنة. إن العبارات والكلمات التي ينطق بها المغني مثلا لا تستجيب لشروط الصدق. وبالتالي متى قررنا إخضاعها لمعيار قابلية التحقق إلا ويتبين أنها لا تقبل مثل هذا الإجراء. لكن ذلك ليس مبررا لاستبعادها كليا، لأنه كما قال فريجه لا يمكن أن نضحي دائما باللذة الفنية في سبيل الصدق. ومن ثم فإن العبارات الفنية والأخلاقية ذات القيمة الجمالية لا يمكن التخلي عنها بدعوى أنها ليست ذات معنى حرفي.